نَظَرِيَّةُ المَعْنَى

في فلسفة بول جرايس



د. صلاح إسماعيل

نَظَرِيَّةُ المَعْنَى

في فلسفة بول جرايس

نَظَرِيَّةُ المَعْنَى

في فلسفة بول جرايس

د. صلاح إسماعيل
قسم الفلسفة - كلية الآداب
جامعة القاهرة

الناشر
دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اسم الكتاب : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس
اسم المؤلف : د. صلاح إسماعيل
سنة النشر : 2007م
رقم الإيداع : 4517 / 2007م
الترقيم الدولي : 6 - 533 - 303 - 977

الناشر
دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

الإدارة : (16) عمارات العبور - شارع صلاح سالم - الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: 02/2621365

محمول :

0123171744 - 0123171722 - 0123140315

إهــداء

إلى روح المرحوم الأستاذ الدكتور محمود فهمى زيدان

أنصفتنا يوما تخلى الناس عن عدل

وزاد ظلم الناس بعدكم فينـا

عليك منى سـلام الله مـا بقيـت

ذكرى الوفاء وأشواق المحبينا

صلاح إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

❖ مقدمة

تقع مشكلة المعنى من فلسفة القرن العشرين ومستهل القرن الحادي والعشرين عند حجر الأساس، يستوي في ذلك التقليد التحليلي السائد في العالم الناطق بالإنجليزية والتقليد الأوروبي السائد في أوروبا باستثناء بريطانيا وعندما أقول إن المعنى اللغوي يقع في صميم الصميم من الفلسفة المعاصرة، فلست أصدر في ذلك عن رأي أذهب إليه وإنما أصدر عن حقيقة واقعة ندركها بوضوح في كتابات الفلاسفة الرواد في عصرنا. انظر مثلا إلى فرانز برنتانو (1838 1917) تجد أنه قد سعى إلى تفسير كيف تدور الأفكار، وهي أحداث عقلية، حول موضوعات خارج العقل ؟ ثم انظر إلى جوتلوب فريجه (1848 – 1925) تجد أن المشكلة التي أرقته هي معالجة الاختلاف في المعنى بين (أ هي جـ) و (ب هي جـ) الذي يوجد حتى عندما يشير(أ) و(ب) إلى الشيء نفسه .[1] أما رودلف كارناب (1891 – 1970) فقد ألقى على نفسه سؤالا : كيف يمكن أن يوجد " صدق بمقتضى المعنى فقط " ؟ وأتبعه بسؤال آخر : كيف يمكن أن توجد معرفة أولية ؟ وأظهرت إجابته على هذين السؤالين أن الابستمولوجيا ترتبط ارتباطاً حميمًا بنظرية المعنى. ولكن كواين (1908 – 2000) لم يسلك طريقة معلمه وصديقه كارناب، وإنما بحث عن أساس موضوعي نعتمد عليه عندما ننسب إلى تعبيرات معينة المعنى نفسه، وانتهى إلى ما أسماه المعنى المعرفي cognitive meaning. وجاء دونالد ديفيدسون (1917 – 2003) ليبين كيف تتحدد معاني الجمل عن طريق معاني كلماتها. ولو أنك تابعت النظر في مؤلفات بقية أئمة الفلسفة في وقتنا الحاضر، لوجدت أن قضية المعنى قد شغلتها واستأثرت بها حتى وقعت منها في مكان الصدر والمحراب.

ولست أعرف فيلسوفاً معاصرًا كرس جل جهده الفلسفي لمفهوم المعنى، وما يدور في فلكه من مفاهيم أخرى، مثلما فعل الفيلسوف الإنجليزي بول جرايس

Paul Grice (1913 – 1988) إلى درجة أننا نستطيع أن نسميه بحق "فيلسوف المعنى ". وأعتقد أن هذا الوصف يصوره أصدق تصوير وأدقه. وهو نفسه يقول عن هذا الجانب من فلسفته : "لقد سبب لي كثيرًا من القلق وأحدث أيضاً توقدًا أكثر (من أي جانب آخر)".[2] ومهما تقرأ من فلسفة جرايس، ومهما يكن الموضوع الذي يعالجه، فسترى دائما تحليله للمعنى شائعا فيما يعالج، منبثا فيه كما ينبث الماء في الغصن؛ ولا غرو بعد ذلك أن أقول عنه : إنه " فيلسوف قنفذ "، إذا جاز لي أن استعمل الاستعارة الجميلة التي ابتكرها أشعيا برلين (1909 – 1997).

لقد أورد برلين في كتابه " المفكرون الروس "عام 1978 (في فصل بعنوان "القنفذ والثعلب "، أعيد نشره ضمن مقالات مختارة من كتابات برلين بعنوان "الدراسة الملائمة للجنس البشري " عام 1998) بيتاً من الشعر الإغريقي يقول : "يعرف الثعلب أشياء كثيرة، ولكن القنفذ يعرف شيئاً واحدًا كبيرًا " . وتذهب الآراء في التفسير الصحيح لهذه الكلمات مذاهب شتى، ولكن برلين يرى أننا إذا أخذناها بطريقة مجازية، كان في وسعنا أن نفصل بين نوعين من الكتاب والمفكرين وربما الكائنات البشرية بصفة عامة : القنافذ في ناحية، والثعالب في ناحية أخرى. فأما القنافذ " فهم الذين يربطون كل شيء برؤية واحدة أساسية، وبنسق واحد، وفي حدوده يفهمون ويفكرون ويشعرون ... (وأما الثعالب) فهم الذين يبحثون عن غايات كثيرة، لا ترتبط فيما بينها في غالب الأمر بل وحتى تكون متناقضة، وترتبط فقط - إذا ارتبطت على الإطلاق – بطريقة ما واقعية، وبسبب سيكولوجي أو فسيولوجي، ولا ترتبط بمبدأ أخلاقي أو جمالي ".[3] وأنت ترى إذن أن المفكرين القنافذ يسترشدون بفكرة أساسية واحدة ثم يتعمقون فيها، وينطوون عليها كما تنطوي القنافذ على نفسها. وأما المفكرون الثعالب فهم الذين يستكشفون أفكارًا كثيرة متنوعة بينما يجوبون في فجاج الفكر كما تجوب الثعالب في فجاج الأرض. صحيح أن جرايس قد تميز من بعض رفاقه في أكسفورد الذين وقعوا في شراك اللغة، وذلك عندما وسَّع من دائرة اهتماماته الفلسفية شيئاً ما، ولكن انشغاله طوال

حياته بمفهوم المعنى يجعلنا ندخله، دون أن نجاوز الحق، في زمرة الفلاسفة القنافذ. وهو في ذلك يختلف عن الفيلسوف الإنجليزي المعاصر مايكل دميت Michael Dummett (1925 -)، الحاصل على لقب سير، الذي حفل بالمعنى احتفالاً عظيما جداً ، ولكنه وصف نفسه في شيء من السعادة على أنه ثعلب "ينطلق ليشم هنا وهناك بين أشياء كثيرة يعرف القليل عن كل واحد منها".(4)

وأردت في هذا الكتاب أن أحقق جملة من الأهداف، أولاً، توضيح الفكرة الأساسية في النظرية القصدية وهي أن جرايس أعطى المتكلمين ومقاصدهم دورًا رئيساً في فهم المعنى، وبيان كيفية استخدام هذا المعنى لدى المتكلم باعتباره الأساس الذي يقوم عليه تقرير المعنى اللغوي (أو معنى الجملة). ثانياً، مناقشة الاعتراضات الأساسية على تحليل جرايس للمعنى، وبيان النظريات المتنافسة مع نظريته. ثالثاً، إعادة بناء نظرية جرايس بحيث تبدو كاملة بعد الإسهامات التي قدمها أنصاره لسد نقائصها وبخاصة في جانب الاصطلاح . رابعًا، توضيح العلاقة بين النظرية القصدية في المعنى ونظرية الاقتضاء التخاطبي القائمة على مبادئ التخاطب، وتتمثل هذه العلاقة، في رأينا، في أن النظرية الثانية فرع من الأولى، وهذا يعني أن الباحث في فلسفة جرايس يخطئ تمامًا إذا ظن أن جرايس قدم نظريتين منفصلتين تمام الانفصال . وأنا في محاولة تحقيق هذه الأهداف، أتمثل نظرية جرايس في لطائف أفكارها ودقائق عناصرها، وأعبر عن مزاياها في غير إسراف، وأصور نقائصها في غير إجحاف، وأسعى بها إلى شيء من الاكتمال.

المحتوى

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة



■ لعل الوظيفة الأساسية التى يتعين على الفلسفة القيام بها، بعد تقلص أدوارها بتقدم العلم وتنوع المعارف، هي تحليل المعاني. والفلسفة المعاصرة هي قصة لفكرة المعنى على حد تعبير الفيلسوف الإنجليزي جلبرت رايل. وتسلك دراسة المعنى في عصرنا طرائق عدة. تأتي في طليعتها طريقتان: ترتبط الأولى بالنظريات الصورية التي اقترحها فريجه وفتجنشتين المبكر، وكواين، ديفيدسون، تشومسكي، دميت. وترتبط الثانية بنظريات الاستعمال التي اقترحها فتجنشتين المتأخر، وأوستن، وجرايس، وسيرل.

وتحفل النظريات الصورية بالبنية الصورية للغات والعلاقات المتبادلة بين الجمل، على حين تؤكد نظريات الاستعمال على دور المتكلمين في فهم المعنى. ويقدم هذا الكتاب دراسة تحليلية نقدية للنظرية القصدية في المعنى عند الفيلسوف الإنجليزى بول جرايس (1913-1988) الذي أعطى المتكلمين ومقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى، ويهدف أيضًا إلى صياغة الروابط المهمة بين النظرية القصدية في علم الدلالة ونظرية الاقتضاء التخاطبي في علم الاستعمال اللغوي.

الناشر